

بَابُ

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].
 وَقَوْلِهِ: ﴿ وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أراد المؤلف رحمه الله بهذا الباب أن يبين أن الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله من أعظم الذنوب، وأن كلا منهما ينافي كمال التوحيد، وأنه يجب على المؤمن أن يجمع بين الخوف والرجاء.
 مكر الله: استدراجه العبد بالنعم إذا عصى وإملاؤه له حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

الخاسرون: أي: الهالكون.

يقنط: القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه.

الضالون: المخطئون طريق الصواب.

المعنى الإجمالي للآيتين: يذكر الله سبحانه حال أهل القرى المكذبين للرسول، أن الذي حملهم على تكذيبهم هو الأمن من استدراج الله لهم، وعدم الخوف منه، فتمادوا في المعاصي والمخالفات، واستبعدوا الاستدراج من الله، وهذه حال الهالكين.

وفي الآية الثانية يحكي الله عن خليله إبراهيم - عليه السلام - أنه لما بشرته الملائكة بولده إسحاق - عليه السلام - استبعد ذلك على كبر سنّه، فقالت له الملائكة: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَنِيطِ﴾ [الحجر: ٥٥]، أي: الآيسين، فأجابهم بأنه ليس بقانيط؛ لكنه قال ذلك على وجه التعجب.

ما يُستفاد من الآيتين:

- ١ - في الآية الأولى: التحذير من الأمن من مكر الله، وأنه من أعظم الذنوب.
- ٢ - في الآية الثانية: التحذير من القنوط من رحمة الله، وأنه من أعظم الذنوب.
- ٣ - في الآيتين أنه يجب على المؤمن أن يجمع بين الخوف والرجاء فلا يغلب جانب الرجاء فيأمن مكر الله ولا يغلب جانب الخوف فييأس من رحمة الله.
- ٤ - أن الخوف والرجاء من أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله وحده لا شريك له.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ
عَنِ الْكِبَائِرِ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ
مَكْرِ اللَّهِ»^(١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ
مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ»^(٢).
رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

الكبائر: جمعُ كبيرةٍ وهي: كُلُّ ذَنْبٍ تَوَعَّدَ اللَّهُ صَاحِبَهُ بِنَارٍ أَوْ لَعْنَةٍ
أَوْ غَضَبٍ أَوْ عَذَابٍ أَوْ نَفْيٍ الْإِيمَانِ أَوْ رَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَدًّا فِي الدُّنْيَا.
الشرك بالله: في ربوبيّته وعبوديّته.

والْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ: أَي قَطْعُ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ مِنَ اللَّهِ فِيمَا يَرُومُهُ
وَيَقْصُدُهُ وَيَخَافُهُ وَيَرْجُوهُ.

مِنْ مَكْرِ اللَّهِ: أَي: مِنْ اسْتِدْرَاجِهِ لِلْعَبْدِ أَوْ سَلْبِهِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ
الْإِيمَانِ.

المعنى الإجماليُّ للحديث: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ
أَنَّ كِبَائِرَ الذُّنُوبِ هِيَ: أَنْ يُجْعَلَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ شَرِيكٌ فِي رَبُوبِيَّتِهِ أَوْ عِبُودِيَّتِهِ
وَبَدَأَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ. وَقَطْعُ الرَّجَاءِ وَالْأَمَلِ مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤/١) رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٥٩/١٠) رقم (١٩٧٠١) والطبراني في معجمه
الكبير (١٥٦/٩) رقم (٨٧٨٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٤/١): رواه
الطبراني وإسناده صحيح.

إِسَاءَةٌ ظَنُّ بِاللَّهِ وَجَهْلٌ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَالْأَمْنُ مِنَ اسْتِدْرَاجِهِ لِلْعَبْدِ بِالنِّعَمِ حَتَّى يَأْخُذَهُ عَلَى غِرَّةٍ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْحَدِيثِ حَصْرَ الْكِبَائِرِ فِيمَا ذَكَرَ؛ لِأَنَّ الْكِبَائِرَ كَثِيرَةً، لَكِنِ الْمُرَادُ بَيَانُ أَكْبَرِهَا كَمَا يُفِيدُهُ أَثَرُ ابْنِ مَسْعُودٍ الَّذِي سَأَلَهُ الْمُؤَلِّفُ بَعْدَهُ.

مُنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ لِلْبَابِ : أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْنَ مِنَ مَكْرِ اللَّهِ وَالْيَأْسِ مِنَ رَحْمَتِهِ مِنَ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ .
مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ :

- ١ - تَحْرِيمُ الْأَمَنِ مِنَ مَكْرِ اللَّهِ وَالْيَأْسِ مِنَ رَحْمَتِهِ، وَأَنْهُمَا مِنَ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ كَمَا عَلَيْهِ الْمَرْجُئَةُ وَالْخَوَارِجُ .
- ٢ - أَنَّ الشَّرْكَ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ وَأَكْبَرُ الْكِبَائِرِ .
- ٣ - أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَإِذَا خَافَ لَا يَيْأَسُ، وَإِذَا رَجَا لَا يَأْمَنُ.

بَابُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١].
قَالَ عُلُقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ.

ترجمة علقمة: هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن علقمة، وُلِدَ فِي
حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ - وَهُوَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ وَعِلْمَائِهِمْ وَثِقَاتِهِمْ، مَاتَ بَعْدَ
الْسِّتِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ.

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أَرَادَ الْمُصَنِّفُ بِهَذَا الْبَابِ بَيَانَ
وَجُوبِ الصَّبْرِ عَلَى الْأَقْدَارِ وَتَحْرِيمِ التَّسَحُّطِ مِنْهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَنَافِي كِمَالَ
التَّوْحِيدِ.

الإيمانُ: فِي اللُّغَةِ: التَّصْدِيقُ الَّذِي مَعَهُ ائْتِمَانٌ لِلْمَخْبَرِ وَفِي
الشَّرْعِ: نَطَقٌ بِاللِّسَانِ وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ.
الصَّبْرُ: فِي اللُّغَةِ الْحَبْسُ وَالْكَفُّ - وَشَرْعًا هُوَ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ
الْجَزَعِ، وَاللِّسَانِ عَنِ التَّشْكِيِّ وَالسَّخَطِ، وَالْجَوَارِحِ عَنِ لَطْمِ الْخُدُودِ
وَشَقِّ الْجُيُوبِ.
وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ: فَيَعْتَقِدُ أَنَّ الْمُصِيبَةَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَيَسْتَرْجِعُ
عِنْدَهَا.

يَهْدِي قَلْبَهُ: لِلصَّبْرِ عَلَيْهَا.

هُوَ الرَّجُلُ تَصِيْبُهُ. . . إلخ: هَذَا تَفْسِيرٌ لِلإِيمَانِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ .
الْمَعْنَى الإِجْمَالِيُّ لِلآيَةِ: يَخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَعَلِمَ أَنَّهَا
مِنْ قَدْرِ اللَّهِ، فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، وَاسْتَسَلَّمَ لِقَضَاءِ اللَّهِ، هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ،
وَعَوَّضَهُ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا هُدًى فِي قَلْبِهِ وَيَقِينًا صَادِقًا، وَقَدْ يُخْلِفُ عَلَيْهِ
مَا أَخَذَ مِنْهُ أَوْ خَيْرَ أَمْنِهِ.

مُنَاسِبَةُ الْآيَةِ لِلْبَابِ: أَنَّ فِيهَا دَلِيلًا عَلَى فَضِيلَةِ الصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ
الْمُؤَلِّمَةِ.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ:

- ١ - فَضِيلَةُ الصَّبْرِ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ كَالْمَصَائِبِ.
- ٢ - أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنْ مُسَمًى الإِيمَانِ.
- ٣ - أَنَّ الصَّبَرَ سَبَبٌ لِهَدَايَةِ الْقَلْبِ.
- ٤ - أَنَّ الْهَدَايَةَ مِنْ ثَوَابِ الصَّابِرِ.

* * *

وَفِي صَاحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»^(١).

هُمَا: أي: الاثنتان.

بِهِمْ كُفْرٌ: أي: هاتان الخصلتان كفرٌ قائمٌ بالناس - حيثُ كانتا مِنْ أَعْمَالِ الْكُفَرِ.

الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ: أي: الوقوعُ فِيهِ بِالْعَيْبِ وَالتَّنْقِصِ.

وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ: أي: رفعُ الصوتِ بِالنَّدْبِ بِتَعْدِيدِ شَمَائِلِهِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّسْحِطِ عَلَى الْقَدْرِ.

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ لِلْحَدِيثِ: يَخْبُرُ ﷺ أَنَّهُ سَيَسْتَمِرُّ فِي النَّاسِ خَصْلَتَانِ مِنْ خِصَالِ الْكُفْرِ، لَا يَسْلَمُ مِنْهُمَا إِلَّا مَنْ سَلَّمَهُ اللَّهُ. الْأُولَى: عَيْبُ الْأَنْسَابِ وَتَنْقُصُهَا.

الثَّانِيَةُ: رَفْعُ الصَّوْتِ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ تَسْحُطًا عَلَى الْقَدْرِ.

لَكِنْ لَيْسَ مَنْ قَامَ بِهِ شَعْبَةٌ مِنْ شَعْبِ الْكُفْرِ يَكُونُ كَافِرًا الْكُفْرَ الْمَخْرَجَ مِنَ الْمَلَةِ حَتَّى يَقُومَ بِهِ حَقِيقَةُ الْكُفْرِ.

مُنَاسَبَةُ الْحَدِيثِ لِلْبَابِ: أَنَّ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى تَحْرِيمِ النِّيَاحَةِ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ السَّخَطِ عَلَى الْقَدْرِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ: ١ - تَحْرِيمُ النِّيَاحَةِ، وَأَنَّهَا مِنْ خِصَالِ الْكُفْرِ وَمِنَ الْكِبَائِرِ.

٢ - وَجُوبُ الصَّبْرِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا حُرِمَتِ النِّيَاحَةُ دَلَّ عَلَى وَجُوبِ ضِدِّهَا وَهُوَ الصَّبْرُ.

٣ - أَنَّ مِنَ الْكُفْرِ مَا لَا يَنْقَلُ عَنِ الْمَلَةِ. ٤ - تَحْرِيمُ الطَّعْنِ فِي الْأَنْسَابِ وَتَنْقُصِهَا.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعاً: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»^(١).

لَيْسَ مِنَّا: هَذَا مِنْ بَابِ الْوَعِيدِ وَلَا يَنْبَغِي تَأْوِيلُهُ.
مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ: خَصَّ الْخَدَّ؛ لِأَنَّهُ الْغَالِبُ، وَإِلَّا فَضَرَبُ بَقِيَةِ الْوَجْهِ مِثْلُهُ.

وَشَقَّ الْجُيُوبَ: جَمَعَ جَنْبٍ وَهُوَ: مَدْخُلُ الرَّأْسِ مِنَ الثَّوْبِ.
دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ: هِيَ: النَّدْبُ عَلَى الْمَيِّتِ وَالِدَعَاءُ بِالْوَيْلِ وَالثَّبُورِ.

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ لِلْحَدِيثِ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَتَوَعَّدُ مَنْ فَعَلَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى التَّسْخِطِ عَلَى الرَّبِّ وَعَدَمِ الصَّبْرِ الْوَاجِبِ، وَالْإِضْرَارِ بِالنَّفْسِ مِنْ لَطَمِ الْوَجْهِ، وَإِتْلَافِ الْمَالِ بِشَقِّ الثِّيَابِ وَتَمْزِيقِهَا، وَالِدَعَاءِ بِالْوَيْلِ وَالثَّبُورِ، وَالتَّظَلُّمِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
مُنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ لِلْبَابِ: أَنَّ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى تَحْرِيمِ التَّسْخِطِ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ.
مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

- ١ - تَحْرِيمُ التَّسْخِطِ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ، وَأَنَّهُ مِنَ الْكِبَائِرِ.
- ٢ - وَجُوبُ الصَّبْرِ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ.
- ٣ - وَجُوبُ مُخَالَفَةِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ لِأَنَّ مُخَالَفَتَهُمْ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٩٤)، ومسلم برقم (١٠٣).

وَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»^(١) . حَسَنُهُ التِّرْمِذِيُّ .

عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ : بكسرِ العينِ وفتحِ الظاءِ - أي : مَنْ كَانَ ابْتِلَاؤُهُ أَعْظَمَ فَجَزَاؤُهُ أَعْظَمَ .
فَمَنْ رَضِيَ : بما قَضَاهُ اللَّهُ وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْابْتِلَاءِ .
فَلَهُ الرِّضَا : مِنَ اللَّهِ جِزَاءً وَفَاقًا .
وَمَنْ سَخِطَ : بكسرِ الخاءِ والسَّخَطُ : الكراهيةُ لِلشَّيْءِ وَعَدَمُ الرِّضَا بِهِ .
فَلَهُ السَّخَطُ : أي : مِنَ اللَّهِ عِقَابُهُ لَهُ .

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ لِلْحَدِيثِ : يَخْبُرُ ﷺ أَنَّ عَظَمَةَ الْأَجْرِ وَكَثْرَةَ الثَّوَابِ مَعَ عِظَمِ الْابْتِلَاءِ وَالْامْتِحَانِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْعَبْدِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِذَا صَبَرَ وَاحْتَسَبَ ، وَأَنَّ مِنْ عِلَامَةِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُ ؛ فَإِنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ عَلَيْهِ وَاحْتَسَبَ الْأَجَرَ وَالثَّوَابَ وَأَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَثَابَهُ ، وَإِنْ تَسَخَّطَ قَضَاءَ اللَّهِ وَجَزَعَ لَمَّا أَصَابَهُ سَخَطُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَاقَبَهُ .
مُنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ لِلْبَابِ : أَنَّ فِيهِ بَيَانَ عِلَامَةِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِعَبْدِهِ وَبَيَانَ حُكْمَتِهِ فِيمَا يَجْرِيهِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِهِ .

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٨) وابن ماجه برقم (٤٠٢١) .

ما يُستفادُ مِنَ الحديثِ :

- ١ - بيانُ علامةِ محبةِ اللهِ لعبده وهي الابتلاءُ .
- ٢ - وصفُ اللهِ بالمحبةِ والرِّضَا والسَّخَطِ على ما يليقُ بجلالِهِ .
- ٣ - إثباتُ الحكمةِ لله في أفعالِهِ .
- ٤ - أنَّ الجزاءَ مِنْ جنسِ العملِ .
- ٥ - الحثُّ على الصبرِ على المصائبِ .
- ٦ - أنَّ الإنسانَ قد يكرَهُ الشيءَ وهو خيرٌ لَهُ .

* * *

وَقَالَ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمَسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

هذا الحديث والذي قبله رواهما الترمذي بسندٍ واحدٍ وصحابيٍّ واحدٍ؛ ولذلك جعلهما المؤلفُ كالحديث الواحد.

عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا: أي: ينزلُ بِهِ الْمَصَائِبَ لِمَا صَدَرَ مِنْهُ الذُّنُوبُ، فيخرجُ منها وليسَ عليه ذَنْبٌ.

أَمَسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ: أي: أَخَّرَ عَنْهُ عِقُوبَةَ ذَنْبِهِ.

يُوَافِيَ بِهِ: بكسرِ الفاءِ مَبْنِيٌّ لِلْفَاعِلِ مَنْصُوبٌ بِحَتَّى أَي: يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسْتَوْفَرِ الذُّنُوبِ فيستوفي ما يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعِقَابِ.

المعنى الإجماليُّ للحديث: يخبرُ ﷺ أَنَّ علامةَ إِرَادَةِ اللَّهِ الْخَيْرِ بِعَبْدِهِ مُعَاجَلَتُهُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى ذُنُوبِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ حُوسِبَ بِعَمَلِهِ عَاجِلًا خَفَّ حِسَابُهُ فِي الْآجِلِ. وَمِنْ علامةِ إِرَادَةِ الشَّرِّ بِالْعَبْدِ أَنَّ لَا يُجَازَى بِذُنُوبِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسْتَوْفَرِ الذُّنُوبِ وَافِيَهَا، فيجَازَى بِمَا يَسْتَحِقُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

مناسبة الحديث للباب: أَنَّ فِيهِ الْحَثَّ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالرِّضَا بِالْقَدَرِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فِي صَالِحِ الْعَبْدِ.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٨) وأحمد (٨٧/٤)، والحاكم (٣٤٩/١).

ما يُستفادُ مِنَ الحديثِ :

- ١ - علامةُ إرادةِ اللهِ الخَيْرَ بَعْدَهُ معاجلتُهُ بالعقوبةِ على ذنوبِهِ في الدنيا .
- ٢ - علامةُ إرادةِ الشرِّ بالعبدِ أنْ لا يجازى بذنبِهِ حتَّى يوفى بِهِ يومَ القيامةِ .
- ٣ - الخوفُ مِنَ الصَّحَةِ الدائمةِ أنْ تكونَ علامةَ شرٍّ .
- ٤ - التَّنبِيهُ على حَسَنِ الظَّنِّ باللهِ ورجائِهِ فيما يَقْضِيهِ اللهُ عليه مِنَ المَكْرُوهِ .
- ٥ - أنَّ الإنسانَ قد يكرَهُ الشَّيْءَ وهو خَيْرٌ لَهُ، وقد يَحِبُّ الشَّيْءَ وهو شرٌّ لَهُ .
- ٦ - الحثُّ على الصَّبْرِ على المصائبِ .

* * *

بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ الْآيَةُ.

تمامُ الآية: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

مناسبة ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد: أنه لما كان الرياء مخللاً بالتوحيد ومحبطاً للعمل الذي قارنته ناسب أن ينبه عليه المؤلف في هذا الباب.

الرياء: مصدرُ راءى مرأاةً ورياءً وهو أن يقصد أن يرى الناس أنه يعمل عملاً على صفةٍ وهو يضمُر في قلبه صفةً أخرى.

قُلْ: الخطابُ للنبي ﷺ أي: قل للناس.

أنا بشرٌ مثلكم: أي: في البشرية ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء.

إنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ: أي: معبودكم بحق الذي أدعوكم إلى عبادته معبودٌ واحدٌ لا شريك له.

يرجو لقاء ربّه: أي: يخافُ المصيرَ إليه ويطمَعُ برؤيته يوم القيامة.

عملاً صالحاً: هو: ما كان موافقاً لشرع الله مقصوداً به وجهه.

ولا يشرك بعبادة ربّه: أي: لا يُرائي بعمله.

أحدًا: نكرة في سياق النفي، فتعمُّ كلَّ أحدٍ كائناً مَنْ كَانَ.

المعنى الإجمالي: يأمرُ اللهُ تعالى نبيّه ﷺ أن يخبرَ الناسَ أنه بشرٌ مثلُهم في البشريّة ليسَ له من الربوبية والألوهية شيءٌ، وإنما مهمّتهُ إبلاغُ ما يُوحِيه اللهُ إليه، وأهمُّ ما أُوحى إليه أنَّ المعبودَ حقًّا معبودٌ واحدٌ - هو اللهُ - لا يجوزُ أن يشركَ معه أحدٌ في العبادة، ولا بُدَّ من المصيرِ إليه في يومِ القيامةِ، فالذي يرجو النجاةَ في هذا اليومِ من عذابِ اللهِ يستعدُّ له بالعملِ الخالصِ من الشركِ الموافق لما شرَّعهُ اللهُ.

مناسبة الآية للباب: أنَّ فيها الأمرَ بإخلاصِ العملِ من الشركِ الذي

منه الرياءُ.

ما يُستفادُ من الآية:

- ١ - أنَّ أصلَ الدين هو إفراؤُ الله بالعبادة.
- ٢ - أنَّ الرياءَ شركٌ.
- ٣ - أنَّ الشركَ الواقعَ من المشركين هو الشركُ في العبادة.
- ٤ - أنَّه لا يجوزُ أن يعبدَ معَ الله أحدٌ لا من الأصنامِ ولا من الأنبياءِ والصّالحين ولا غيرِهِم.

* * *

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعاً : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي
تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ ^(١) .

أنا أغني الشركاء عن الشرك : أي : عن مشاركة أحد ، وعن عمل
فيه شرك .

أشرك معي فيه غيري : أي : قصّد بعمله غيري من المخلوقين .
تركته وشركه : أي : لم أقبل عمله بل أتركه لذلك الغير .
معنى الحديث إجمالاً : يروي النبي ﷺ عن ربّه عزّ وجلّ - وهو ما
يُسمّى بالحديث القدسي - أنه يتبرأ من العمل الذي دخّله مشاركة لأحد
برياء أو غيره ؛ لأنّه سبحانه لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه .
مناسبة ذكره في الباب : أنه يدلّ على عدم قبول العمل الذي دخّله
رياء أو غيره من أنواع الشرك .
ما يستفاد منه :

- ١ - التحذير من الشرك بجميع أشكاله ؛ وأنّه مانع من قبول العمل .
- ٢ - وجوب إخلاص العمل لله من جميع شوائب الشرك .
- ٣ - وصف الله بالغنى .
- ٤ - وصف الله بالكلام .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥) وأحمد (٣٠١/٢ ، ٤٣٥) وابن ماجه برقم (٤٢٠٢)
وابن خزيمة برقم (٩٣٨) .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَرْفُوعاً: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «الشَّرْكَ الْخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ» رَوَاهُ أَحْمَدُ^(١).

أخوفُ: أفعُلُ تفضيل أي: أشدُّ خوفاً.
 المسيحُ: صاحبُ الفتنة العظمى، سُمِّي مسيحاً؛ لأن عينه ممسوحة، أو لأنه يمسح الأرض أي: يقطعها بسرعة.
 الدَّجَالُ: كثيرُ الدَّجَلِ أي: الكذب.
 الشركُ الخفيُّ: سَمَاءُ خَفِيًّا؛ لأنَّ صاحبه يُظْهِرُ أنَّ عمله لله وهو في الباطن قد قَصَدَ به غيره.
 يَزِينُ صَلَاتَهُ: يحسِّنُها ويُطِيلُها ونحو ذلك.
 المعنى الإجماليُّ للحديث: كَانَ الصَّحَابَةُ يَتَذَكَّرُونَ فِتْنَةَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَيَتَخَوَّفُونَ مِنْهَا، فَأَخْبَرَهُمُ ﷺ أَنَّ هُنَاكَ مُحْذُورًا يَخَافُهُ عَلَيْهِمُ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ فِتْنَةِ الدَّجَالِ وَهُوَ الشَّرْكُ فِي النِّيَّةِ وَالْقَصْدِ الَّذِي لَا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِتَحْسِينِ الْعَمَلِ الَّذِي يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ رُؤْيَى النَّاسِ.
 مناسبةُ ذِكْرِ الْحَدِيثِ فِي الْبَابِ: أَنَّ فِيهِ التَّحْذِيرَ مِنَ الرِّيَاءِ، وَفِيهِ تَفْسِيرُهُ.

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٠٤). وأحمد في المسند ٣/ ٣٠.

ما يُستفاد من الحديث :

- ١ - في الحديث شفقتُهُ ﷺ على أُمَّتِهِ ونصحه لَهُمْ .
- ٢ - أَنَّ الرِّياءَ أَخَوْفُ عَلَى الصَّالِحِينَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ .
- ٣ - الْحَذَرُ مِنَ الرِّياءِ وَمِنَ الشَّرِكِ عَمُومًا .

* * *